

سلسلة

قصص في الأخلاق

١٦

منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.alislamontada.com

قصص في الصِّدْق

عبد العزيز سيد هاشم



منتدى اقرأ الثقافي

www.iqra.ahlamontada.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة قصص الأخلاق

١٦

قصص في

الصدق

إعداد

عبد العزيز السيد هاشم



الموضوع : الآداب (القصص)

العنوان : قصص في الصدق

إعداد :

عدد الصفحات : ١٦

قياس الصفحات : ٢٠×١٤

رقم التسلسل : ٥٩



دار الغوثاني للدراسات القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

سورية - دمشق - حلبوني - ص.ب ٢٥٢٣٧

فاكس : ٢٤٥٤٠١٣ ١١ ٩٦٣ + هاتف ٢٤٥٣٦٣٨ ١١ ٩٦٣ +

algwthani@scs-net.org

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

قصص في الصدق

الصدق قوة

ذَهَبَ الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَعَ أَخِيهِ لِيُخْطَبَ لَهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ. فَلَمَّا جَلَسَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَرْأَةِ قَالَ لَهُمْ بِلَالُ: أَنْتُمْ تَعْرِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ عَنِّي وَعَنْ أَخِي؛ فَقَدْ كُنَّا عَبْدَيْنِ مَمْلُوكَيْنِ فَأَعْتَقَنَا اللَّهُ تَعَالَى، وَكُنَّا ضَالِّينَ لَا دِينَ لَنَا فَهَدَانَا اللَّهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكُنَّا فَقِيرَيْنِ فَأَغْنَانَا اللَّهُ. فَقَالُوا: نَعَمْ يَا بِلَالُ! نَعْرِفُ ذَلِكَ جَيِّدًا، فَمَاذَا تُرِيدُ؟ فَقَالَ: جِئْتُ لَأُخْطَبَ ابْتِسَاطُكُمْ لِأَخِي، فَإِنْ تَزَوَّجُوهَا لَهُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ تَرُدُّونَا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

فَقَامَ الْأَهْلُ يَتَشَاوَرُونَ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: إِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ مَكَانَةَ بِلَالٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَزَوَّجُوا أَخَاهُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ خَيْرًا. فَوَافَقُوا، ثُمَّ ذَهَبُوا لِيُخْبِرُوا بِلَالًا وَأَخَاهُ بِالْمُوَافَقَةِ. وَلَمَّا خَرَجَ بِلَالُ وَأَخُوهُ قَالَ الْأَخُ وَهُوَ يِعَاتِبُ بِلَالًا: يَا بِلَالُ! يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَمَا كَانَ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَذْكُرَ لَهُمْ مَوَاقِفَنَا الْحَسَنَةَ فِي الْإِسْلَامِ. فَقَالَ لَهُ بِلَالُ: يَا أَخِي لَقَدْ صَدَقْتَ فِي كَلَامِي فَزَوَّجَكَ الصَّدَقُ.

صَدَقَ وَهُوَ كَذُوبٌ

رَأَى أَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - سَارِقًا يَسْرِقُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ فَأَمْسَكَ بِهِ. فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. فَتَرَكَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ.

وَفِي الصَّبَاحِ، قَابَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ (الَلَيْلَةُ الْمَاضِيَةُ)؟». فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالًا فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ». وَصَدَقَ الرَّسُولُ ﷺ، فَقَدْ عَادَ الرَّجُلُ مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، وَأَبُو هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَمْسِكُ بِهِ، فَيَعْتَذِرُ الرَّجُلُ بِمِثْلِ مَا اعْتَذَرَ بِهِ، وَلَمَّا أَصْرَّ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى أَخْذِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُ: دَعْنِي أَعْلَمَكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ. قَالَ: مَا هُنَّ؟

قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَفْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فَتَرَكَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ. وَفِي الصَّبَاحِ، سَأَلَهُ الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا حَدَّثَ، فَأَخْبَرَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ بِمَا قَالَهُ الرَّجُلُ. فَقَالَ ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطَبُ مُذْ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟». قَالَ: لَا. قَالَ: «ذَلِكَ شَيْطَانٌ».

كَذِبَةُ وَحَرْبُ

بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ الْحَارِثُ بْنُ ضِرَارٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - اتَّفَقَ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى قَوْمِهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَجْمَعَ الزَّكَاةَ مِمَّنْ يَسْتَجِيبُ لَهُ، ثُمَّ يَرْسِلُ الرَّسُولُ ﷺ رَجُلًا مِنْ صَحَابَتِهِ لِيَأْخُذَهَا مِنْهُ. وَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى الْحَارِثِ لِيَأْخُذَ مِنْهُ الزَّكَاةَ، وَلَكِنَّ الْوَلِيدَ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ، خَافَ مِنَ الْحَارِثِ وَقَوْمِهِ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَدَاوَةٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، فَرَجَعَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ ضِرَارٍ قَدْ مَنَعَنِي الزَّكَاةَ، وَأَرَادَ قَتْلِي. فَغَضِبَ الرَّسُولُ ﷺ، وَوَجَّهَ جَيْشًا لِقِتَالِ الْحَارِثِ وَقَوْمِهِ. وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ كَانَ الْحَارِثُ وَقَوْمُهُ يَنْتَظِرُونَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ أَحَدٌ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَأْخُذَ الزَّكَاةَ، فَلَمَّا لَمْ يَأْتِهِمْ أَحَدٌ خَافَ الْحَارِثُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَّثَ مِنْهُ شَيْءٌ أَغْضَبَ الرَّسُولَ ﷺ، فَخَرَجَ وَمَعَهُ بَعْضُ قَوْمِهِ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَفِي الطَّرِيقِ قَابَلَهُمْ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ، وَعَرَفُوا مِنْهُمْ مَا حَدَّثَ، فَرَجَعُوا جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ الْحَارِثُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَبَيَّنَ لَهُ الْحَقِيقَةَ، وَنَزَلَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهْلَكِهِمْ فَتُصْحِرُوا عَنْ مَا فَعَلْتُمْ تَنِيمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

الصدقُ يكفي

يُحَكِّى أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْعُيُوبِ، فَحَاوَلَ أَنْ يُصْلِحَهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَذَهَبَ إِلَى عَالِمٍ مَعْرُوفٍ بِالتَّقْوَى وَالْإِيمَانِ، وَشَكَا لَهُ عُيُوبَهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ وَصِيَّةٍ تُعَالِجُهَا.

فَطَلَّبَ مِنْهُ الْعَالِمُ عِلَاجَ عَيْبٍ وَاحِدٍ مِنْ عُيُوبِهِ، وَهُوَ الْكَذِبُ، وَأَوْصَاهُ بِالصِّدْقِ فِي كُلِّ حَالٍ. فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ، وَتَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ عَنِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الصِّدْقِ وَبَاقِي عُيُوبِهِ، لَكِنَّهُ عَزَمَ عَلَى الْعَمَلِ بِهَذِهِ الْوَصِيَّةِ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، وَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَشْرَبَ خَمْرًا، فَأَخْضَرَهَا، وَمَلَأَ كَأْسًا مِنْهَا، وَعِنْدَمَا رَفَعَهَا نَحْوَ فَمِهِ، قَالَ لِنَفْسِهِ: مَاذَا أَقُولُ لِلْعَالِمِ إِنْ سَأَلَنِي: هَلْ سَأَخْبِرُهُ بِهَذَا الذَّنْبِ. أَمْ أَكْذِبُ عَلَيْهِ؟ لَا، لَنْ أَفْعَلَ.

وَهَكَذَا... كُلَّمَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَفْعَلَ ذَنْبًا امْتَنَعَ عَنْ فِعْلِهِ؛ حَتَّى لَا يَكْذِبَ عَلَى الْعَالِمِ. وَبِمُرُورِ الْأَيَّامِ تَخَلَّى الرَّجُلُ عَنْ كُلِّ عُيُوبِهِ بِفَضْلِ تَمَسُّكِهِ بِخُلُقِ الصِّدْقِ.

الصَّبِيُّ وَاللُّصُوصُ

اسْتَعَدَّ الصَّبِيُّ الصَّغِيرُ لِلسَّفَرِ إِلَى بَغْدَادَ لِيَتَعَلَّمَ هُنَاكَ، وَأَعْطَتْهُ أُمُّهُ أَرْبَعِينَ دِينَارًا؛ لِيُنْفِقَ مِنْهَا، وَقَالَتْ لَهُ: عَاهِدْنِي يَا وَلَدِي أَلَّا تَكْذِبَ أَبَدًا مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ. فَعَاهَدَهَا. وَخَرَجَ الصَّبِيُّ مَعَ الْقَافِلَةِ، وَبَيْنَمَا هِيَ تَسِيرُ فِي الصَّحَرَاءِ هَاجَمَتْهَا عِصَابَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، وَأَخَذَتْ الْأَمْوَالَ وَالْبِضَاعَةَ وَالْأَمْتَعَةَ ثُمَّ نَظَرَ أَحَدُ أَفْرَادِ الْعِصَابَةِ إِلَى ذَلِكَ الصَّبِيِّ وَسَأَلَهُ: هَلْ مَعَكَ شَيْءٌ؟ فَقَالَ الصَّبِيُّ: مَعِيَ أَرْبَعُونَ دِينَارًا. فَضَحِكَ اللَّصُّ، وَظَنَّ أَنَّ الصَّبِيَّ يَمْزُحُ، أَوْ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، فَأَخَذَهُ إِلَى زَعِيمِهِمْ وَأَخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ. فَقَالَ زَعِيمُ اللُّصُوصِ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الصَّدْقِ، قَالَ الصَّبِيُّ: عَاهَدْتَنِي أُمِّي عَلَى الصَّدْقِ، وَأَخَافُ أَنْ أَخُونَ عَهْدَهَا.

فَتَأَثَّرَ الزَّعِيمُ بِكَلَامِ الْغُلَامِ، وَقَالَ: تُضْحِكُنِي بِمَالِكَ حَتَّى لَا تُخْلَفَ عَهْدُكَ مَعَ أُمِّكَ؟! وَتَخَافُ أَنْ تَخُونَ عَهْدَهَا، وَأَنَا لَا أَخَافُ أَنْ أَخُونَ عَهْدَ اللَّهِ. فَأَمَرَ اللُّصُوصُ بِرَدِّ مَا أَخَذُوهُ مِنَ الْقَافِلَةِ، وَقَالَ لِلصَّبِيِّ: أَنَا تَائِبٌ إِلَى اللَّهِ عَلَى يَدَيْكَ. فَقَالَ بَاقِي اللُّصُوصِ لِزَعِيمِهِمْ: لَقَدْ كُنْتَ كَبِيرَنَا فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ كَبِيرَنَا فِي التَّوْبَةِ. وَتَابُوا جَمِيعًا.

عُقُوبَةُ كَاذِبٍ

كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَمِيرًا عَلَى الْكُوفَةِ، فَشَكَاهُ أَهْلُهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَالُوا إِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الصَّلَاةَ. فَقَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ! إِنِّي لأُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أَنْقُصُ مِنْهَا شَيْئًا؛ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فَأُطِيلُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، وَأُخَفِّفُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْآخِرَتَيْنِ.

فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. ثُمَّ أَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا مَعَ سَعْدٍ، لِيَسْأَلَ أَهْلَهَا عَنْهُ. فَمَرَّ الرَّجُلُ عَلَى مَسَاجِدِ الْكُوفَةِ، وَسَأَلَ النَّاسَ عَنْ سَعْدٍ، فَكَانُوا يَمْدَحُونَهُ، وَلَمَّا مَرَّ عَلَى مَسْجِدِ بَنِي عَبْسٍ، قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ (لَا يَخْرُجُ مَعَ الْجَيْشِ)، وَلَا يَقْسِمُ بِالسُّوْيَةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الْقَضِيَّةِ. فَلَمَّا عَلِمَ سَعْدٌ بِذَلِكَ قَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأُطِلْ عُمُرَهُ، وَأُطِلْ فَقْرُهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ.

وَمَرَّتِ السَّنَوَاتُ، وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ سَعْدٍ، فَطَالَ عُمُرُ الرَّجُلِ حَتَّى ضَعُفَ، وَاشْتَدَّ فَقْرُهُ، وَسَاءَتْ سِيرَتُهُ، فَكَانَ يَقُولُ عَنْ نَفْسِهِ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَقْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ. وَبِهَذَا نَالَ عُقُوبَةَ كَذِبِهِ.

صَدَقَ اللَّهُ

يُرَوَّى أَنَّ أَعْرَابِيًّا اشْتَرَكَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي فَتْحِ خَيْبَرَ، وَلَمَّا قَسَمَ الرَّسُولُ ﷺ الْغَنَائِمَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، أَخَذَ جُزْءًا فَأَعْطَاهُ لِأَصْحَابِهِ؛ كَيْ يُعْطَوْهُ لِذَلِكَ الْأَعْرَابِيِّ، فَذَهَبَ الصَّحَابَةُ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ، وَأَعْطَوْهُ نَصِيبَهُ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَأَخَذَ الْأَعْرَابِيُّ الْمَالَ، وَذَهَبَ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنْ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى بِسَهْمٍ هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ - فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنْ تَصَدَّقَ اللَّهُ يَصْدُقْكَ».

وَبَعْدَ ذَلِكَ حَضَرَ الْأَعْرَابِيُّ قِتَالًا آخَرَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَظَلَّ يُقَاتِلُ حَتَّى أَصَابَهُ سَهْمٌ فَحَمَلَهُ الصَّحَابَةُ، وَجَاؤُوا بِهِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، فَوَجَدَ السَّهْمَ فِي حَلْقِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «هُوَ هُوَ؟». قَالَ الصَّحَابَةُ: نَعَمْ. فَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ».

وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ جُبَّتَهُ، وَكَفَّنَ فِيهَا الْأَعْرَابِيَّ وَصَلَّى عَلَيْهِ وَدَعَا لَهُ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، قُتِلَ شَهِيدًا، وَأَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ».

العالم والأعرابي

يُحْكِي أَنَّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ كَانَ يَجْمَعُ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِيَكْتُبَهَا وَيَسَجِّلَهَا، وَذَاتَ يَوْمٍ، سَمِعَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا يَحْفَظُ حَدِيثًا مِنْ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ، فَسَافَرَ إِلَى هَذَا الْأَعْرَابِيِّ؛ حَتَّى يَأْخُذَ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْعَالِمُ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ، وَجَدَهُ يُمَسِّكُ بِطَرَفِ مَلَابِسِهِ كَأَنَّهُ فِيهَا طَعَامًا، فَاسْرَعَ عَائِدًا نَحْوَهُ لِيَأْكُلَ هَذَا الطَّعَامَ.

وَمَا إِنْ وَصَلَ الْفَرَسُ إِلَى الْأَعْرَابِيِّ حَتَّى أَمْسَكَ بِهِ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ فَسَأَلَهُ الْعَالِمُ: هَلْ كَانَ مَعَكَ طَعَامٌ؟ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، إِنَّمَا كُنْتُ أَخْذَعُهُ، لِيَأْتِيَ فَأُمْسِكَ بِهِ.

فَغَضِبَ الْعَالِمُ، وَانْصَرَفَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ الْحَدِيثَ. فَنَادَاهُ الْأَعْرَابِيُّ: انْتَظِرْ حَتَّى تَسْمَعَ الْحَدِيثَ. لَكِنَّ الْعَالِمَ وَاصَلَ طَرِيقَهُ قَائِلًا لِلأَعْرَابِيِّ: إِنِّي لَا أَصَدِّقُكَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّكَ تَكْذِبُ عَلَى الْبَهَائِمِ، وَأَنَا لَا أَخْذُ حَدِيثًا مِنْ كَاذِبٍ.

تَمْرَةٌ أَوْ كَذِبَةٌ

المُسْلِمُ يَخْرَصُ عَلَى الصَّدَقِ دَائِمًا مَعَ الْجَمِيعِ، وَيَعْلَمُ
أَنَّ مَا خَالَفَ الصَّدَقَ فَهُوَ كَذِبٌ، وَهُوَ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ كَذِبَةٍ
صَغِيرَةٍ وَكَذِبَةٍ كَبِيرَةٍ، فَإِنَّ الْجَمِيعَ يَكْتُبُ عِنْدَ اللَّهِ كَاذِبًا.
فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ إِحْدَى الْأُمَّهَاتِ نَادَتْ ابْنَهَا الصَّغِيرَ،
فَقَالَتْ لَهُ: تَعَالَ.. أُعْطِكَ.

وَكَانَتْ تَقْصِدُ بِذَلِكَ أَنَّهَا سَتُعْطِيهِ شَيْئًا مَّا.
وَسَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهَا: «وَمَا أَرَدْتَ أَنْ
تُعْطِيَهُ؟».

قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا.
فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا
كُتِبَتْ عَلَيْكَ كَذِبَةٌ».

صِدْقٌ وَتَوْبَةٌ

عِنْدَمَا خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ وَأَصْحَابُهُ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ، تَخَلَّفَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُ، وَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْهُمْ، فَلَمَّا تَفَكَّرَ فِي حَالِهِ، وَتَخَلَّفَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا فَاتَهُ مِنَ الْخَيْرِ حَزَنَ حُزْنًا شَدِيدًا، وَخَافَ أَنْ يَغْضَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَيْهِ، وَأَصْبَحَ يُفَكِّرُ؛ كَيْفَ يَوَاجِهُ النَّبِيَّ ﷺ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ؛ أَيْكَذِبُ عَلَيْهِ لِيَنْجُو، أَمْ يَصْدُقُ وَإِنْ عَرَّضَهُ الصَّدْقُ لِلْعُقُوبَةِ؟! وَانْتَهَى إِلَى أَنَّهُ لَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ هَذَا الضِّيقِ إِلَّا الصَّدْقُ. وَعَادَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَجَاءَهُ الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوَةِ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ الرَّسُولُ ﷺ اعْتِذَارَهُمْ، وَتَرَكَ مَا فِي نَفْسِهِمْ إِلَى اللَّهِ. وَجَاءَهُ كَعْبٌ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ حَتَّى جَلَسَ أَمَامَهُ. فَسَأَلَهُ الرَّسُولُ عَنْ سَبَبِ تَخَلُّفِهِ. فَقَالَ كَعْبٌ مُعْتَرِفًا: لَا - وَاللَّهِ - مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». وَجَاءَ مَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَكَانَا قَدْ تَخَلَّفَا عَنِ الْغَزْوَةِ، فَقَالَ الصَّدْقُ مِثْلَمَا قَالَ كَعْبٌ، وَاعْتَرَفَا بِخَطِيئتهما، وَأَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُمَا. وَنَهَى الرَّسُولُ ﷺ

الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، فَاجْتَنَبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ وَقَاطَعُوهُمْ، حَتَّى أَصْبَحَ الثَّلَاثَةُ كَأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ، وَشَعَرُوا أَنَّ الْأَرْضَ - رَغِمَ سَعَتُهَا - قَدْ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ.

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ عَلَى الثَّلَاثَةِ بَطِيئَةً ثَقِيلَةً، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الْخَمْسُونَ، صَلَّى كَعْبُ الْفَجْرِ عَلَى سَطْحِ بَيْتِهِ، وَجَلَسَ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى، وَفَجْأَةً.. سَمِعَ صَوْتًا عَالِيًا يُنَادِيهِ: يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ! أَبْشِرْ. فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَابَ عَلَيْهِ، فَسَجَدَ لِلَّهِ شُكْرًا.

وَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ يُهْتَفُونَ وَيُهْتَنُونَ صَاحِبِيهِ. ذَهَبَ كَعْبٌ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَوَجَدَ الرَّسُولَ ﷺ جَالِسًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَهُوَ يَتَسَمَّى: «أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتُكَ أُمَّكَ». فَقَالَ كَعْبٌ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «لَا؛ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»... ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصَّدَقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَّا أَحَدْتُ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيْتُ.

وَهَكَذَا تَابَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - عَلَى كَعْبٍ وَصَاحِبِيهِ بِصِدْقِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْكَذِبِ، وَأُنْزِلَ فِيهِمْ قُرْآنًا يُتْلَى، وَآيَاتٍ تَحْكِي قِصَّتَهُمْ، وَتُخْبِرُ بِصِدْقِهِمْ.

كَلَامُ صَدَقَةِ اللَّهِ

فِي إِحْدَى الْعَزَوَاتِ، سَمِعَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمٍ - وَكَانَ شَابًا صَغِيرًا - عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَنْ سَلُولٍ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ الْمُسْلِمِينَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَيَحْرُضُ أَتْبَاعَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ (يَقْصِدُ أَنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ وَأَتْبَاعُهُ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ هُمُ الْأَذِلَّةُ). فَغَضِبَ زَيْدٌ وَعَزَمَ عَلَى إِخْبَارِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَحْتَاطُوا مِنْ أَدَى الْمُنَافِقِينَ، فَذَهَبَ إِلَى عَمِّهِ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، فَأَسْرَعَ عَمُّهُ، إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَذَكَرَ لَهُ مَا حَدَّثَ، فَدَعَا الرَّسُولُ ﷺ زَيْدًا، فَجَاءَ زَيْدٌ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ، وَأكَدَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ.

فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَجَاءَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي وَأَصْحَابَهُ، وَحَلَفُوا لِلرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُمْ مَا قَالُوا ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَصَدَّقَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَذَّبَ زَيْدًا. فَحَزَنَ زَيْدٌ لِذَلِكَ، وَأَصَابَهُ هَمٌّ شَدِيدٌ، وَجَلَسَ فِي بَيْتِهِ، وَظَلَّ هَكَذَا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ وَفَضَحَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ، وَبَيَّنَ كَذِبَهُمْ، وَظَهَرَ صِدْقُ زَيْدٍ، فَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَيْهِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ السُّورَةَ، وَقَالَ لَهُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ».

الصَّادِقُ وَالصَّدِيقُ

فِي إِحْدَى اللَّيَالِي حَدَّثَتْ مُعْجِزَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ؛ فَأَسْرَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - بَنِيهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، ثُمَّ عَادَ الرَّسُولُ ﷺ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى مَكَّةَ وَالنَّاسُ نِيَامٌ كَمَا هُمْ .

وَفِي الصَّبَاحِ ، خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ لِيُخْبِرَ النَّاسَ بِتِلْكَ الْمُعْجِزَةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَمَا إِنْ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ ذَلِكَ حَتَّى كَذَّبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَلَمْ يَصْدُقُوهُ ، وَظَلُّوا يَتَنَاقَلُونَ الْخَبَرَ ، وَيَضْحَكُونَ مِنْهُ قَائِلِينَ : إِنَّا نَرَكَبُ الْإِبِلَ شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي الذَّهَابِ وَشَهْرًا فِي الرَّجُوعِ ، أَفَيَذْهَبُ مُحَمَّدٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَيَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ . وَذَهَبَ الْكُفَّارُ مُسْرِعِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ لِيُخْبِرُوهُ بِمَا حَدَّثَ ؛ لِيَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالُوا لَهُ : هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ ، يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَصَلَّى فِيهِ ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَهَلْ قَالَ ذَلِكَ ؟

قَالُوا : نَعَمْ ، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يَحْدُثُ النَّاسَ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ لَنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ .

فَقَالَ النَّاسُ : أَتُصَدِّقُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ

قَبْلَ أَنْ يَصْبِحَ ؟ !

قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ (الْوَحْيَ) لَيَأْتِيهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأُصَدِّقُهُ، فَهَذَا أَبْعَدُ مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ.
ثُمَّ ذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَوْلَهُ النَّاسُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ تِلْكَ الْقِصَّةِ وَيُرِيدُونَ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ كَلَامِ الرَّسُولِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ بِأَشْيَاءَ رَأَاهَا فِي طَرِيقِهِ، وَوَصَفَ لَهُمُ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى، وَأَبُو بَكْرٍ يَقُولُ لَهُ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَسَمِيَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّدِّيقُ.

قَصَصٌ فِي الصَّدَقِ

حَقًّا.. الصَّدَقُ خُلُقٌ نَبِيلٌ، وَصِفَةٌ طَيِّبَةٌ أَنْصَفَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ، وَعُرِفَ بِهِ نَبِينَا مُحَمَّدٌ ﷺ بَيْنَ قَوْمِهِ؛ فَكَانُوا يُنَادُونَهُ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ.

وَالصَّدَقُ مِنْ أَهَمِّ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ شِعَارُهُ عَلَى الدَّوَامِ، فَالْمُسْلِمُ صَادِقٌ لَا يَكْذِبُ.

وَالصَّدَقُ طَرِيقٌ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى الْفَوْزِ بِرِضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

وَهَذِهِ الْقِصَصُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الصَّادِقِينَ وَالْكَاذِبِينَ، نَعْلَمُنَا الْإِلْتِزَامَ بِالصَّدَقِ، وَاجْتِنَابَ الْكَذِبِ.

سلسلة قصص في الأخلاق

- ١ - قصص في الأُخلاص ١١ - قصص في الرحمة
- ٢ - قصص في الأمانة ١٢ - قصص في الشجاعة
- ٣ - قصص في الإيثار ١٣ - قصص في الشُّكر
- ٤ - قصص في البِر ١٤ - قصص في الشُّورى
- ٥ - قصص في التعاون ١٥ - قصص في الصُّبر
- ٦ - قصص في التَّواضع ١٦ - قصص في الصُّدق
- ٧ - قصص في التَّوكل ١٧ - قصص في الطَّاعة
- ٨ - قصص في الحب ١٨ - قصص في العدل
- ٩ - قصص في الحِلْم ١٩ - قصص في العفو
- ١٠ - قصص في الحياء ٢٠ - قصص في الكرم
- ٢١ - قصص في الوفاء